الشاعر عبدالحسين الأزري دراسة في حياته وأبرز اتجاهاته الشعرية

م.م. رعد جويد حسين
المديرية العامة لتربية محافظة ذي قار
mailto:rr3296590@gmail.com

الملخص:

يتناول البحث دراسة حياة الشاعر عبدالحسين الأزري وأبرز اتجاهاته الشعرية؛ إذ يُسلط الضوء على حياتهِ ومصادر ثقافته وتعليمه، وأبرز الأحداث التي واجهها وضمَّنها في شعره، كما يسلط الضوء على الاتجاهات المهمة في شعره وهي الاتجاه الاجتماعي، والذي عالج فيه قضايا اجتماعية عاصرها في حياته ، والاتجاه الوطني الذي كان أشدُ وضوحاً في تجربته الشعرية ؛ لما مرَّ به العراق من تقلبات عنيفة في زمن الشاعر تمثّل بالتخلص من الاحتلال العثماني والوقوع في شرك الاحتلال الانكليزي مروراً بتأسيس الحكم الملكي ، كما وأبدع الشاعر في مدح النبي وأهل بيته ورثاء الإمام الحسين (ع) وهذا ما مثل الاتجاه الديني في شعره.

الكلمات المفتاحية: (الشاعر عبدالحسين الأزري، الاتجاهات الشعرية، الاتجاه الوطني).

The poet Abdul-Hussein Al-Azari, a study in his life and his most prominent poetic trends

Raad Javed Hussein
Dhi Qar Governorate Education Directorate

Abstract :

This research examines the life of the poet Abdul Hussein Al-Uzri and his most prominent poetic trends. It sheds light on the poet's life and the sources of his culture and education, and the most prominent events that the poet encountered in his life and included them in his poetry. It also sheds light on the important trends in his poetry, which is the social trend, in which he dealt with social issues that he experienced in his life, and the national trend that was more evident in his experience. Noodles; As Iraq went through violent fluctuations in the poet's time, it was exemplified by getting rid of the Ottoman occupation and falling into the trap of the British occupation, passing through the establishment of the monarchy, and the poet also excelled in praising the Prophet, his family and the lament of Imam Hussein (pbuh). This is what represented the religious trend in his poetry.

Keywords: (poet Abdul-Hussein Al-Azari, poetic trends, national trend).

المبحث الأول

حياته

أولاً : سيرته :

الأديب والشاعر عبدالحسين الأزري من أبرز شعراء العراق في النصف الأول من القرن العشرين، في حقبة مهمة من تاريخ العراق الحديث امتدت لنصف قرن، منذ أنْ كان العراق يرزح تحت الحكم العثماني، جزءاً من سلطته الواسعة إلى ما قبل استقلاله واتخاذه الحكم الجمهوري ببضع سنين، مروراً بالاحتلال البريطاني وتأسيس الحكم الوطني، إذ كان من أبرز شعراء تلك المرحلة الذين نقلوا الشعر من مرحلة الضعف والتأخر إلى فجر اليقظة والتحرر، حيث ارتقوا بالشعر إلى مكانة أرفع من أن يكون أداةً للتكسب أو جعلهِ سلعة تُباع وتُشترى في سوق الجاه، أو طرفة للتندر وقضاء أوقات الفراغ ليس له من صفة الشعر إلاّ الوزن والقافية، ففتحوا له أبواباً جديدة حمَّلوه من خلالها كل آمالهم بالتحرر ونيل الحرية والعيش الكريم والذود عن قضايا الوطن والمجتمع التي كان يعجُّ بها القرن العشرين.

ولد الشاعر عبدالحسين الأزري سنة ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م، وتوفي سنة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م[١].

وقد عَّدهُ مير بصري من شعراء الطبقة الثانية بعد رائدي النهضة الأدبية الزهاوي والرصافي[٢]، ويرجع نسبه إلى قبيلة بني تميم، فهو ابن الحاج يوسف الأزري بن الحاج محمد الأزري بن الحاج محمود الحضيري التميمي[٣]، أما لقب الأزري فقد جاءهم من خلال مصاهرة أحد الحضريين بيت الأزري والذين اشتهروا بقرض الشعر وأبرزهم الشاعر كاظم الأزري صاحب الهائية الشهيرة في مدح أهل البيت (ع)، وأخوه الشاعر محمد رضا الأزري[٤]. هذه العائلة كانت تتاجر بالمنسوجات القطنية وتمتهن بيع الأزُر لذا لُقبت بآل الازري، وبعد مصاهرة أحد أبناء الحضيريين لهذه العائلة انتقل اللقب إلى الأولى فلقب شاعرنا بالأزري.

ويذكر الدكتور جودت القزويني في كتابه تاريخ القزويني نقلاً عن نجل الشاعر الوزير السابق عبدالكريم الأزري انه قال: ((لا أعرف شاعراً تميّز بالموهبة الشعرية وبرز فيها كثيراً من شعراء زمانه الذين طبَّقت شهرتهم الآفاق مثل المرحوم والدي الحاج عبدالحسين الأزري الذي يعتبر حقاً من أبرز شعراء زمانه، كما يتجلّى ذلك بوضوح لكل مَنْ يقرأ بعناية وإمعان ديوان شعره والذي طُبعَ مؤخراً في سنة ١٩٨١م، أي بعد مرور ربع قرن على وفاته))[٥].

ثانياً : عصرهُ :

لقد تزامنت نشأة الأزري مع اليقظة العربية، إذ ولد في العقد التاسع من القرن التاسع عشر وهو العصر الذي بدأت فيه النهضة العربية تتشكل للتخلص من الاحتلال العثماني خاصة بعد سيطرة جمعية الاتحاد والترقي على مقاليد الحكم في الدولة العثمانية والتي مهدت إلى إعلان الدستور ١٩٠٨م، وهذا بدوره أدى إلى تشكيل جمعيات سرية عربية تدعو إلى الانسلاخ عن جسد الدولة العثمانية، كل هذا لم يكن ببعيد عن نظر الشاعر إذ انتمى إلى حزب (الائتلاف) والذي أسسه طالب باشا النقيب سنة ١٩١١[٦] وسيأتينا خلال البحث انَّه أسس ثلاث صحف كلها أُغلقت ما يدلل على أنَّ الشاعر كان مندكاً في قضايا عصره ووطنه الذي كان يُكافح للخلاص من نير الاحتلال البريطاني ومن قبله العثماني.

كل هذا عرَّض الشاعر للنفي إلى الأناضول وذلك بعد أن وقف بوجه سياسة التتريك من خلال الصحف التي أسسها بعد إعلان الدستور العثماني (١٩٠٨) والذي كفل حرية الكلام والصحافة[٧] فأصدر صحفاً عدة كانت أولاها صحيفة (مصباح الشرق) ١٩١٠ ثم عُطلت بعد شهر من صدورها، ثم أصدر صحيفته الثانية (المصباح) ١٩١١ وعُطلت أيضاً، واصدر كذلك (المصباح الأغر) وعُطلت أيضاً، وكان في كل صحفه التي أسسها يدعو إلى الوقوف بوجه سياسة التتريك ويطالب بالتحرر من ربقة السلطة العثمانية[٨]، وبسبب مواقفه الوطنية تلك نفته السلطات العثمانية مع لفيف من أحرار العراق بعد أن نشبت الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م إلى الأناضول وادي

ارجيوس وسمح له بالعودة إلى بلده بعد أن مكث سنتين لاقى فيها مرارة النفي والحنين إلى الوطن والغربة[٩].

وخوفاً من أن يُلقى القبض عليه مرةً أخرى فرَّ إلى النجف وبقي فيها إلى أن انتهت الحرب العظمى في العراق منتصف ١٩١٧، وقد روى ما شاهد لأسرته من أهوال النفي حيث سيق هو ورفاقه إلى الأناضول في وادي (ارجيوس) في قصيرى مشياً على الأقدام مما أثَّر على صحته[١٠], وقد وصف ذلك من خلال شعره إذ يقول:

وادي ارجيوس حسبي ما أُقاسيه ... شيْبتَ رأسي كما شابت نواصيه

كفاكَ سجنُ غريبٍ بين مجتمعٍ ... يُعدّه كأسيرٍ من أعاديه

ضيَّعتَ شطراً من شبيبتهِ ... قد ظنَّهُ برغيدِ العيشِ يقضيه

يشكو إلى الليل من صبحٍ يعيدُ له ... البلوى، وللصبح من ليلٍ يداجيه

عامين فيكَ وقد مثلت لي بهما ... ما لم يمثله عصرٌ في مآسيه[١١]

قرر الشاعر بعد ذلك ان يعتزل السياسة وتأسيس الصحف، لاسيما بعد ثورة العشرين وتأسيس الحكم الوطني في العراق (أي الملكي)، لكنهُ استمر ينتقد الواقع السياسي والاجتماعي الذي رافق العهد الملكي بقصائد تؤكد أنَّ جذوة الروح الوطنية لازالت متقدة في روحه المرهفة.

ثالثاً : مصادر ثقافة الأزري :

يمتلك الشاعر عبدالحسين الأزري ثقافة متميزة وهذا ما تجسد في رصيده الشعري على الرغم من أنه لم يدخل المدارس الرسمية في عصره على قلتها لكنّه استطاع أن يتزود من معارف عصره ويوظفها في بناء نصوصه الشعرية.

اتجه الأزري إلى الدراسة التقليدية الشائعة في عصره وهي امتداد للطريقة التي كان يتبعها السلف، إذ استطاع الحصول على ثقافة لا بأس بها من خلال دراسته على يد مشاهير المشايخ المعروفين إذ كان في بغداد يومها مدارس كثيرة لعلوم العربية والفقه برز فيها أئمة أهل العلم آل الآلوسي وبيت النائب وكذلك كانت أنديتها الليلية تعج

بالأدباء وكانت الأحاديث تطعم بالأدب والتاريخ الإسلامي والنصوص الشعرية العربية والمأثور من الأقوال، ومن أشهر تلك البيوتات التي تنعقد فيها الندوات بيت (آل كبة) وهم أسرة بغدادية تميزت بالعلم والأدب والثراء، وكانت دارهم مقصداً لشعراء الحلة والنجف وبغداد[١٢] وكان هذا المصدر الأساسي الذي اغترف منه الأزري لبناء ثقافته والتي صقلت موهبته الشعرية.

وكانت جُلّ تلمذته على يد الشيخ (شكر) الذي أصبح فيما بعد مديراً للمدرسة الجعفرية وقاضياً للمحكمة الجعفرية بصورة رسمية بعد الاحتلال البريطاني[١٣]، كما انهمك في تثقيف نفسه ثقافة واسعة مما يكشف عن روح عصامية لديه مكنته لأن يكون شاعراً يُشار له بالبنان كأقرانه من أمثال الشبيبي وعلي الشرقي وغيرهم ممن حملوا راية الشعر ودافعوا فيه عن التحرر والقيم الاجتماعية والقومية التي كانت تعبر عن قضايا وطنهم في النصف الأول من القرن العشرين.

وكان للحواضر الدينية تأثيراً في صقل ثقافة الشاعر؛ إذ كانت الكاظمية المدينة المقدسة من المراكز الدينية المهمة لدراسة الفقه والأصول وعلوم العربية التي كان يقصدها الشاعر للتزود من العلوم والمعارف التي كانت تدرس فيها[١٤]، كل هذا ساهم في بناء شخصية الشاعر الثقافية التي انعكست على تجربته الشعرية، إذ نرى ذلك واضحاً في النصوص الشعرية إذ اغترف من مرجعياته الثقافية التي كان لها دورٌ بارزٌ في صقل موهبته الشعرية، ومن آثار ثقافته هو اتجاهه إلى تأسيس الصحف، إذ أنشأ الشاعر كما مر ثلاث صحف والتي أُغلقت من قبل السلطات العثمانية؛ لأنها كانت تجاهر بالوقوف بوجه سياسة التتريك وتطالب بالتحرر، وكذلك كانت له تجربة في كتابة القصة والرواية منها (قصر التاج، بوران، بطل الحلة) وكذلك له مقالات في السياسة والأدب، فضلاً عن ديوان شعر تم طبعه سنة ١٩٨١م أي بعد مرور أكثر من ربع قرن على وفاته[١٥]، أذن من خلال الاطلاع على تراث الأزري الشعري وفي مجال الرواية والمقالات وتأسيس الصحف يُثبت أنَّ الشاعر كان على درجة عالية من الثقافة التي انعكست على فنون الأدب التي مارسها الشاعر، كما كان يتقن اللغة الفرنسية وتعلمها عندما كان منفياً في الأناضول[١٦].

المبحث الثاني

أبرز اتجاهات الأزري الشعرية

أولاً : الاتجاه الوطني :

لعلَّ الاتجاه السياسي في شعر عبدالحسين الأزري من أكثر الاتجاهات بروزاً في شعره؛ ذلك لانَّ المرحلة التي عاشها الشاعر وهي نهاية القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين تمثل حقبة التحولات الكبرى في العالم العربي؛ إذ مثلت انهيار الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى وكذلك بداية حقبة الاحتلال الانكليزي ونشوب ثورة العشرين وما تلاها من تأسيس الحكم الملكي بزعامة الملك فيصل الأول وحصول العراق على الاستقلال في بداية العقد الرابع، كل هذه الأحداث لم تكن غائبة عن الشاعر، لاسيما وقد عرفنا نضاله في زمن الدولة العثمانية من تأسيس الصحف وناهضة سياسة التتريك والدعوة إلى التحرر والذي دفع ثمنه النفي إلى الأناضول لمدة سنتين, وهذا ما يمثل شغف شعراء الحقبة الكلاسيكية (الاحيائية) بالقضايا الوطنية.

إذ مثَّل ((حب الوطن لدى شعراء التيار الكلاسيكي الجديد، ظاهرة جديدة وملحوظة في ميدان الشعر وارتبط ارتباطاً عضوياً بالمعاني السياسية والوطنية والأفكار السياسية والدينية، ومرد ذلك لأنَّ الاقطار العربية ظلت أسيرة لمدة قرون للاحتلال والسيطرة الأجنبية))[١٧] وهذا ما يؤكد بروز هذا الاتجاه عند الأزري وكذلك شعراء المرحلة الكلاسيكية في الشعر العراقي أمثال الجواهري والزهاوي والرصافي والشبيبي وعلي الشرقي وغيرهم.

ومن شعره الوطني قصيدة بعنوان (الوطن)[١٨] :

وطنـــي لأجلـكَ قَـدْ عُـدِمتُ حيـاتي ... وســئمتُ فيــك حيــاةُ هــذي الــدارِ

أقضـــي الــدُّجى أزفــاً كــأنَّ هــدوءَهُ ... أنيســـــي وأنَّ هواجسَـــــهُ سُـــمّاري

أتَــنَفَّسُ الصــعداءُ مــا بقــيَ الــدُّجى ... حتّـــى أُكَـــدِّرُ نســـمةَ الأُســـحارِ

أنـــا لَـــمْ يُحرنـــي الزمـــانُ بصـــرفهِ ... كـــلا وأنْ سَـــلَبَ الزمـــانُ خَيَـــارِي

الأبيات تمثل تغني الشاعر بوطنه العراق وحبه له، لاسيما وهو يغني له بأجمل الأشعار، إذ يقسم على حبه هذا في أبياته قصيدته هذه إذ يقول[١٩] :

تـــاللهُ يـــا وطـــن الرشـــيد ونجلـــهِ ومعَّـــــرسِ الطـــــائيِّ والمهيـــــارِ

لـم تلهنـي عَنْـكَ الحسـانُ ولا الطـلا هيهـــاتَ تلـــك ســـجيةُ الأغـــرارِ

إذ نجد المشاعر هنا لا تحتاج إلى دليل لتؤكد وطنية الشاعر وحبه لبلده.

ومن شعره الوطني قصيدته التي ألقيت عام ١٩٣١ في الديوانية في ذكرى ثورة العشرين إذ يقول[٢٠]:

للســعي فـــي طلـــبِ العليـــاءُ مُتَّســـعُ وما فـي الحيـاةِ علـى السـاعين متمتـعُ

وللجهـــــادِ إذا تابعتـــــهُ أثـــــرٌ وللثبـــــاتِ واصـــــلته نجـــــعُ

قُـــلْ للـــبلاد التـــي قَـــدْ ثـــار ثائرهـــا هـــذا دواؤكِ مـــا إنْ مســـك الوجـــعُ

الحـقُّ انْ لـم يَعنـهُ السـيفُ منخـذلُ والملـك إنْ لـم يعنـهُ العـدلُ منتَـزعُ

وهي قصيدة طويلة يتغنى فيها بأمجاد ورجالات ثورة العشرين الخالدة التي فتحت الباب لتأسيس الحكم الوطني في العراق، وظلت عالقة في ذاكرة الأجيال إلى يومنا هذا.

ومن قصيدة له نظمها في أواخر الثلاثينات شرح فيها أوضاع العراق وما يمر به في تلك المرحلة إذ يقول[٢١]:

وطـــنٌ يرانـــا الخيـــر مـــن غربائـــهِ وتعـــدّنا النكبـــاتُ مـــن أبنائـــهِ

وتكـــادُ تنكرنـــا الحيـــاةُ كَأَنَّنَـــا لَسْـــنا بهـــذا القُطـــرِ مِـــنْ أحيائـــهِ

ثم يصف شواطئ الرافدين الجميل إذ يقول[٢٢]:

والجـوُّ يعطـرُ مِـنْ هبـوبِ نسـيمهِ والبـانُ يسـكرُ مـن عذوبـةِ مائـهِ

ثانياً : الاتجاه الاجتماعي :

عانى العراق مطلع القرن العشرين بسبب وقوعه بين احتلالين العثماني والانكليزي من مشاكل عديدة، وعلى رأس تلك المشاكل الفقر والجهل والمرض وما يتفرع عنهما من مشاكل أخرى، لذلك تسابق الشعراء أمثال الرصافي والزهاوي والجواهري والشبيبي

والشرقي لوصف هذا الواقع وكان لهم دورٌ بارز في هذا المجال، لذا كان الأزري كغيره من الشعراء مشدوداً إلى قضايا مجتمعه يرى ما أصاب المجتمع من فقر وجهل وأمراض وغيرها، لذا حاول بقوة لإصلاح هذا الواقع؛ لأن الفنان إنسان ينشأ في بيئة اجتماعية، وفي ثورته على مجتمعه إنما يُبين شدة تعلقه بمجتمعه للمساهمة في إصلاحه[٢٣]، لذا نجد الأزري أفرد قسطاً وافراً من شعره للتعبير عن هموم وقضايا مجتمعه (العراق) وساهم بقوة لأن ينهض ويتقدم بين الشعوب الأخرى؛ وذلك لأن ((الأدب عماد النهضات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية))[٢٤].

فمن قصيدة له يندد بالفروقات الطبقية في حفلة أقامتها الجمعية الاقتصادية إذ يقول[٢٥]:

وُطّـــدِوا المُلْـــكَ بعـــدلٍ شـــاملٍ يجعـــلُ الوحـــدةَ ســـدّاً محكمـــاً

ثم يقول تألماً:

واســـألوا الأريـــافَ عَنْـــهُ تجِـــدُوا كـــلَّ دارٍ قَـــدْ أقامـــتْ مَأْتَمـــا

ثم يقول:

إنَّمـــا المجهـــولُ فـــي أوطانـــهِ هُـــوَ مَـــنْ كـــانَ ضـــعيفاً مُعْـــدَما

كيـفَ ترجـو الـذودَ منْـهُ عَـنْ حمـى وَهُـــوَ لا يَمْلُـــكُ فيـــهِ مَقْـــدَما

فالشاعر في أبياته التي مرّت نجدْهُ يحارب الطبقية بشدَّة لاسيما بين الريف والمدينة خصوصاً وأن الريف في الفترة التي تحدث عنها الشاعر كان يعيش أوضاعاً مزرية مع انه يمُدُ المدينة بما تحتاجه من السلال الغذائية!

ويتوجه الشاعر إلى رجال الريف حاثاً إياهم إلى التمسك بالريف وترك مباذل المدينة؛ لان ذلك يؤدي إلى اختلال في توازن بنية المجتمع من خلال هجرته أرضه والتوجه صوب المدينة إذ يقول[٢٦]:

ردّوا إلـــــــى أريـــــــافِكُمْ ردّوا لا الكـــــأسُ شـــــأنكمُ ولا الرنـــــدُ

لا تُلهكـــــم صـــــورٌ مزّيفـــــةٌ عنّهـــــا كمـــــا يتزيـــــفُ النقـــــدُ

مَعْنَـــى الفضـــيلةِ عِنْـــدها شـــرهٌ والغـــيُّ فـــي مفهومهـــا رشـــدُ

.....

بحقُـــولكمْ جـــدٌ ولـــيسَ علـــى غَيـــرَ الفضـــيلة ينبـــتُ المَجْـــدُ

العـــزُّ فـــي أريـــافكم وكـــذا تعتـــزُ وســـطَ عَرينَهَـــا الأُسْـــدُ

الريـــفُ صـــلبٌ عـــودُهُ فـــإذا عصـــفتْ بـــهِ هوجـــاءُ يشـــتدُّ

شـــرُ الحواضـــرِ مـــا بتربتهـــا تَشْـــقى الجمـــوعُ ويســـعدُ الفـــردُ

فالشاعر يطلب من أهل الريف عدم الانبهار بمفاتن المدينة؛ لانها صورٌ مزيفة تجذب إليها الإنسان من خلال تشبيه زيف المدينة بزيف النقود، ويرى أنَّ مكان الريف لأهله يمثل العز والمنعة كما الأسد في عرينه عزٌ له، ثم يؤكد أن شر المدن التي تشقى فيها جموع الناس على حساب فرد؛ ولهذا كانت دعوة الشاعر لأهل الريف للتمسك بأرضهم.

ومن أبيات له يصف فيها تردي الأخلاق يقول فيها[٢٧]:

يـــا مـــيُّ فـــنُّ المكـــرِ أصـــبحَ راقيـــاً يمشـــي علـــى أســـلوبِ عصـــرٍ راقـــي

كـــمْ مجـــرمٍ فـــي الحـــيِّ وهـــو مُبجـــلٌ والقـــومُ بـــين يديـــه فـــي إطـــراقِ

مـــا أكثـــر المتضـــلّعين بمكـــرهم لـــو تملكـــينَ مهـــارةَ الحـــذَّاقِ

ومجـــردينَ عَـــنِ الخلائـــقِ كـــأنهم شـــجرٌ مجـــردةٌ مـــن الأوراقِ

ألفـــتْ نفوســـهُم النفـــاقَ فـــأجمَعُوا يَـــرْوُونَ عنـــهُ مكـــارمَ الأخـــلاقِ

نرى الشاعر يشنَّ هجوماً عنيفاً على النفاق الاجتماعي وكذلك الفردي ويصف من يتلبس بهذا المرض بالمجرم، لان صاحبه لا يملك من الأخلاق شيء كما الشجر بلا أوراق، لذا صارت نفوسهم تألف هذا المرض الاجتماعي الخطير.

ومن أجمل ما نظمه عن دور الشاعر في المجتمع أبياته التي يصف فيها دور الشاعر في المجتمع، ذلك لأنَّ الشاعر شديد الصلة بالمجتمع وقضاياه، إذ يقول[٢٨]:

قَـــدْ كـــانَ ينبوعـــاً ولكـــن مـــاؤهُ أرقـــى المشـــاعرْ

يجـــــري فتنبـــــتُ حـــــولَ جـــــد ولـــــــه الســــــوانحُ والخـــــواطرْ

لـــــمْ ينســـــكبْ مـــــاءُ الفضيـــــ ـــــلةِ فـــــي إنـــــاءٍ غيـــــر طـــــاهرْ

عـــرفَ الجلـــيَّ مـــن المـــبّطنِ فـــ ـــــــأزدرى كـــــــلَّ المظـــــــاهرْ

مـــــا قـــــالَ رجمـــــاً بـــــالغيوب ، ولـــــم يكـــــنْ للطيـــــر زاجـــــرْ

فَمَشَـــــتْ بـــــه الـــــدُّنيا كَمَـــــا تَمْشـــــي العواصـــــفُ والأعاصـــــرْ

طُبعـــــت علـــــى الكـــــدرِ الحيـــــاةُ وحاربـــــت صـــــدفَ الســـــرائرْ

كـــــمْ مِـــــنْ بـــــريءٍ قَـــــدْ أديـــــنَ وبُرّئـــــتْ ســـــاحاتُ فـــــاجرْ

نلاحظ أنَّ الشاعر بوصفه لدور الشاعر في المجتمع كأنّما يصف نفسه، فهو يصف طهارة وصفاء روح الشاعر، ثم يصف فراسة الشاعر من خلال كشفه عن المنافق الذي يظهر خلاف ما يبطن، ليشن ثورة على تقلبات الحياة التي يصير فيها البريء مذنباً ويصبح الفاجر بريئاً.

ثالثاً : الاتجاه الديني :

أفرد الشاعر عبدالحسين الأزري مساحة واسعة للقصائد الدينية، وهي مدائح للنبي (ص) ومراثي أهل البيت (ع) وهو باب تجلت فيه موهبتَهُ لاسيما في قصيدته (الدالية) في مدح النبي (ص) وقصيدته الأخرى (نهج الحسين ع)، إذ تعدان من أبدع ما نظم في هذا الجانب، وهذا الاتجاه من أبرز الاتجاهات التي طغت على نصوص شعراء كُثر في النصف الأول من القرن العشرين أمثال السيد حيدر الحلي وإبراهيم الطباطبائي والسيد جعفر الحلي وغيرهم[٢٩] إذ أكثروا من النظم في مدح النبي (ص) ومراثي أهل البيت (ع)، مصورين ما جرى على الإمام الحسين (ع) وأهل بيته وأصحابه في كربلاء، ولكن الذي يُؤخذ عليهم هو تسجيل الأحداث التي جرت على تلك الشخصيات من دون ان يستغلوا الطاقات التي تصبح بها ليبروا عن الواقع المعيش، وهو اتجاه نمى وتطور في النصف الثاني من القرن العشرين إذ استطاع الشاعر أنْ يعبر بتلك الشخصيات عن واقعه لما تمتلكه تلك الشخصيات ولاسيما الإمام الحسين (ع) من

طاقة ثورية هائلة، ومن أبرز قصائده في هذا الاتجاه هي داليته النبوية التي أُلقيت في المولد النبوي الشريف الذي أُقيم في بغداد سنة ١٩٢٦، إذ يصف فيها الشاعر بعد ان بين العناصر والفضائل التي تميز فيها النبي (ص) وأوضاع العرب قبل ظهور الإسلام إذ يقول(٣٠):

يـــومٌ بزغْـــتَ بأُفقـــهِ مولـــودا بُعـث الـورى فـي المشـرقينَ جَدِيـدَا

وتـــنَّفسَ الصـــعداءَ فيـــكَ كأنّمـــا أعطـــى وجـــودكَ للحيـــاةِ وجُـــودا

فلـــذلك اتخـــذتكَ مَـــنْ ســـعدت بـــهِ عيـــداً علـــى مـــرِّ الزمـــانِ سَـــعِيدا

وجَـــدَتْ بـــكَ البشـــريةُ اطمأنانهـــا وصـــــلاحها وأمانهـــــا المفقـــــودا

يصور الشاعر اليوم الذي ولد فيه النبي (ص) كالشمس التي بزغت وأنارت المشرقين، وكيف أنَّ مجيئه أعاد الأمل إلى الناس وسعدت بهذا اليوم الذي صار عيداً لهم.

ثم ينتقل ليصور حالة الناس في الجزيرة العربية قبل مبعث النبي (ص) من انتشار الفقر والجهل وتقطع الكلمة ومحاربة بعضهم للآخر، وكيف كانت الأرض التي عليها يسكنون قفراً خالية من الحياة بسبب الجفاف، وصور كذلك عقائدهم وعبادة التماثيل، إذ وصل بهم الأمر إلى صناعة التماثيل من التمر وعند جوعهم يأكلونها، وهو بذلك يكشف عمق الحالة المأساوية التي كان عليها العرب قبل الإسلام ثم يقول(٣١):

يـا أيهـا الهـادي الأُلـى مِـنْ ضـعفهم لَـــمْ يـــألفوا كـــالوحشِ إلاّ البيـــدا

متفـــــرقينَ يُحـــــاربُ بَعضُـــــهم بعضـــاً محاربـــةَ اللـــدودِ لَـــدُودا

فكأنّمـــا تلـــكَ الصـــدور مراجـــلٌ تَغْلـــي ضـــغائن بيـــنهم وحقـــودا

أجســامهم حكــت الصــخورَ صــلابةً وكـذا الغضـا فـي الـدول أصـلبُ عـودا

عاشـــوا علـــى الغـــارات فيمـــا بيـــنهم وهُـــمُ الأقـــاربُ عنصـــراً وجـــدودا

قَـدْ كـانَ أخـذ الثـأرِ لا يُبْقـي لَهُـم أثـــراً يـــدلُ علـــيهمُ مَوْجُـــودا

لقد استطاع الشاعر الأزري ببراعته ان يصف الحالة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وحتى النفسية ببضعة أبيات، وهذا ما يؤكد قوة وقدرة الشاعر وتمكنه من أدواته الشعرية، وكذلك الاطلاع والثقافة الواسعة التي تجسدت في هذه اللوحة الشعرية.

ثم صور الشاعر قدرة النبي الأعظم (ص) على توحيد كلمة هؤلاء وبناء أمة قائمة على التعاضد لا سائداً بينها ولا مسوداً، ثم بين المحرك في هذا البناء الحضاري العظيم وهي العقيدة التي دفعتهم إلى التضحية بالنفس والمال من اجل إرساء أسس الإسلام والسلام إذ يقول[٣٢] :

وحَّـــدتَ بيـــنهمُ ورحـــتَ مؤلفـــاً شـــعباً وتاريخـــاً أغـــرَّ مجيـــدا

ثم يقول:

وبـــذا أقمـــتَ علـــى التعاضـــدِ أُمـــةً لا ســـائداً مـــا بينهـــا ومســـودا

فتغيـــرتْ بـــكَ وجهـــةً وديانـــةً وكرامـــــةً وعزائمـــــاً وعدِيـــــدا

ثم يقول:

إنَّ العقيـــــدةَ بـــــالغلاب كفيلـــــةٌ حتَّـــى ولـــو كـــانَ الســـلاحُ جَريـــدا

لا فضـــلَ للصمصـــامِ لـــو لَـــمْ تؤتـــهِ مِنْـــهُ العقيـــدةُ أذرعـــاً وَزنـــودا

ثم يقول:

الملـــكُ تحـــت يـــديكَ لـــو حاولتـــهُ لكـــنْ عَـــنْ الســـلطان كُنـــتَ بعيـــدا

أمَّا في قصيدته الرائعة (نهج الحسين) التي أُلقيتْ في الكاظمية في العاشر من محرم الحرام في سنة ١٩٣٥، فقد كانت رسالة موجهة إلى الأحرار في كل مكان إذ يقول[٣٣] :

للحـــــرِّ بطـــــنُ الأرضِ أجـــــدى مِـــــنْ أَنْ يعـــيشَ الحـــرُّ عبـــدا

إنْ ضـــــاقَ بـــــالحرِّ الفضـــــا فـــــالموتُ للأحـــــرارِ أجـــــدى

دنيـــــا الذليلـــــةَ نَفْسُـــــهُ مـــــوتٌ وإنْ منحتـــــهُ خُلـــــدا

إيـــاكَ مِـــنْ مركـــى الهـــوانِ فلســـتَ تقطـــفُ منـــهُ وردا
ودَعِ الخضـــوع لِمَـــنْ يَـــرى مُـــرَّ المـــذاق بغيـــهِ شـــهدا
أيـــنَّ الـــذليلُ مـــن العزيـــز وأيـــن فـــادي مِـــنْ مُفَـــدَى
شـــتانَ جيـــدٌ زانـــهُ عَقْـــدٌ وجيـــــدٌ زانَ عَقْـــــدا
أتنـــامُ عَينُـــكَ والوســـا دةُ حشـــاها الضـــيمُ سَـــهْدا
إنَّ الحيـــاة وإن حرصـــتَ أمانـــةً يومـــاً تُـــؤدَّى

نلاحظ أنَّ الشاعر قد بدأ القصيدة بمواعظ تنخرط فيها مقدمة القصيدة إلى الحكمة وهو اتجاه ساد الشعر الكلاسيكي في رثاء شخصية الإمام الحسين (ع) وأهل بيته، لذا نلاحظ الأبيات عبارة عن حكم وهي في غاية الروعة والإتقان، الغرض هو التمهيد للدخول إلى فضاء الشخصية (الإمام الحسين ع) إذ يقول[٣٤] :

فـــانهج إذن نهـــجَ الحســـينِ وكُـــنْ علـــى الأخطـــارِ جلـــدا
سَـــلْ عنْـــهُ أطـــرافُ الحـــديثِ تُملـــي الحـــديثَ عليـــك سَـــردا

.....

أبـــت الدنيـــةُ نَفْسَـــهُ والقـــومُ لا يُحصـــونَ عَـــدّا
عـــزَّ النصـــيرُ فلـــمْ يجـــدْ غيـــرَ الحســـانِ إليـــه عضـــدا
ومضـــى ولَـــمْ يـــركنْ إلـــى زَمـــنٍ يمكِّـــن منـــهُ وغْـــدَا
أَخْبَـــتْ ســـناهُ الموبقـــا تِ وكـــانَ للضّـــلالِ رُشْـــدا

بين الشاعر بعد المقدمة الحكمية من خلال الدخول إلى الغرض الأساسي للقصيدة وهي الحديث عن شخصية الإمام الحسين (ع) وكيف رفضت الذل والهوان وتقدمت للموت تحت ظلال السيوف، ولم تعط الدنية من نفسها، لذا صارت منارة هدى وصوت وقاد للناس كافة.

الخاتمة :

١- الشاعر عبدالحسين الأزري من كبار شعراء العراق في النصف الأول من القرن العشرين.

٢- يطغى الجانب العصامي على شخصية الشاعر وهذا ما بدا واضحاً وجلياً من خلال ثقافة الشاعر التي تحصَّل عليها من غير الدخول إلى المدارس والجامعات، إذ اعتمد على التعليم التقليدي إذ درس الفقه والأصول واللغة العربية والاطلاع على التراث الشعري العربي.

٣- لم يكن الجانب الشعري متفرداً في شخصية الأزري فهو فضلاً عن كونه شاعراً مرموقاً فهو قاصٌ وروائي وله روايات في مجالات عدة ذكرناها في المبحث الأول.

٤- الاتجاه الوطني أشد بروزاً من الاتجاهات الأخرى وذلك ما تجلّى من خلال قصائده بحب الوطن والتي أشرت المشاكل السياسية التي كان يعاني منها العراق في تلك المرحلة.

٥- ما يُؤَشَّرْ على ثقافة الشاعر هو تأسيسه للصحف والتي تعرضت للإغلاق تباعاً في زمن الدولة العثمانية وذلك يكشف ثقافته الواسعة فهو أديب ينظم ويكتب ويحرر.

٦- لم يكن الشاعر وطنياً بلسانه وشعره فقط بل تعرَّض إلى النفي من قبل السلطات العثمانية ضريبة لإخلاصه ودفاعه عن وطنه.

٧- ومن الاتجاهات الأخرى في شعره والتي مثّلت جانباً مهماً الاتجاه الاجتماعي الذي عالج فيه القضايا الاجتماعية في وطنه.

٨- كغيره من الشعراء الذين عاصروه أمثال الشبيبي والحليان السيد حيدر والسيد جعفر أبدع في مدح النبي (ص) ورثاء الإمام الحسين وأهل بيته (ع)، مما أفرد له باباً في ديوانه باسم باب المراثي والمدائح.

الهوامش:

(١) يُنظر : أعلام الأدب في العراق الحديث : مير بصري : ص١٢٧ ، تاريخ

القزويني ، د. جودت القزويني : ٢٧٥/١٢ ، هكذا عرفتهم ، جعفر الخليلي ، ٣٩٢/٦.

(٢) يُنظر : أعلام الأدب في العراق : ١٢٦.

(٣) يُنظر : هكذا عرفتهم : ٣٩٢/٦.

(٤) يُنظر : المصدر نفسه : ٣٩٢/٦-٣٩٣.

(٥) تاريخ القزويني : ٢٧٦/١٢.

(٦) يُنظر : تاريخ القزويني : ٢٧٨/١٢.

(٧) يُنظر : أعلام الأدب الحديث في العراق : ١٢٧.

(٨) يُنظر : المصدر نفسه : ١٢٧-١٢٨ ، تاريخ القزويني : ٢٧٨/١٢ ، هكذا عرفتهم : ٣٩٥/٦ ، ديوانه : ١٤.

(٩) يُنظر : أعلام الأدب الحديث : ١٢٧ ، تاريخ القزويني : ٢٧٨/١٢.

(١٠) يُنظر : تاريخ القزويني : ٢٧٩/٢ ، يُنظر : هكذا عرفتهم : ٣٩٦/٦.

(١١) ديوانه : ١٨٠.

(١٢) يُنظر : هكذا عرفتهم : ٣٩٣/٦ ، تاريخ القزويني : ٢٧٧/١٢ ، أعلام الأدب الحديث في العراق : ١٢٧.

(١٣) يُنظر : تاريخ القزويني : ٢٧٧/١٢.

(١٤) يُنظر : هكذا عرفتهم : ٣٩٤/٦ ، ينظر : ديوانه : ١٢.

(١٥) يُنظر : أعلام الأدب في العراق الحديث : ١٧٨ ، ديوانه : ٥.

(١٦) يُنظر : تاريخ القزويني : ٢٧٨/١٢.

(١٧) الأدب العربي الحديث دراسة في شعره ونثره : ٩٦.

(١٨) الديوان: ٨٩

(١٩) الديوان : ٩٠.

(٢٠) الديوان : ١١٧.

(٢١) الديوان : ٣٤.

(٢٢) الديوان : ٣٥.

(٢٣) يُنظر : سيكولوجية الإبداع في الفن والأدب ، يوسف ميخائيل اسعد : ١٦٠.

(٢٤) أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب : ٨٠.

(٢٥) الديوان : ١٧٩.

(٢٦) الديوان : ٦٦.

(٢٧) الديوان : ١٣٨.

(٢٨) الديوان : ١٠٠.

(٢٩) يُنظر : تطور الشعر العربي الحديث في العراق اتجاهات الرؤيا وجمالات النسيج : ٣٢-٣٤.

(٣٠) يُنظر : استدعاء الشخصيات التراثية ، د. علي عشري زايد : ١٣.

(٣١) الديوان : ٣١٧.

(٣٢) الديوان : ٣١٧.

(٣٣) الديوان : ٣٣٤.

(٣٤) الديوان : ٣٣٧.

(٣٥) الديوان:٣٣٧.

المصادر :

(١)الأدب العربي الحديث دراسة في شعره ونثره ، د. سالم الحمداني ، د. فائق مصطفى أحمد ، ط١ ، مكتبة اللغة العربية ، ١٣٩٣هـ.

(٢)استدعاء الشخصيات التراثية ، د. علي عشري زايد ، دار الفكر العربي ، ١٩٩٧.

(٣)أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب ، ط١٠ ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٩٤.

(٤)أعلام الأدب في العراق الحديث ، مير بصري ، دار الحكمة ، د.ت.

(٥)تاريخ القزويني في تراجم المنسيين والمعروفين من أعلام العراق (١٩٠٠-٢٠٠٠) ، د. جودت القزويني ، ط١ ، الخزائن لإحياء التراث ، ٢٠١٢.

(٦)تطور الشعر العربي الحديث في العراق ، اتجاهات الرؤيا وجمالات النسيج،

د. علي عباس علوان ، منشورات وزارة الثقافة العراقية ، ١٩٧٥.

(٧)ديوان الحاج عبدالحسين الأزدي، تحقيق مكي السيد الجاسم ، شاكر هادي شكر ، قدم له علي الشرقي ، قدم للشاعر جعفر الخليلي ، د.ط ، د.ت.

(٨)سيكولوجية الإبداع في الفن والأدب، يوسف ميخائيل اسعد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦.

(٩)هكذا عرفتهم ، جعفر الخليلي ، دار المحجة البيضاء ، ط١ ، ٢٠٠٩.